الانشطار اللغوي بين اكتساب اللغة الأم واللغة الأجنبية (الفرنسية)
-الطور الابتدائي أنموذجا-

Le fossé linguistique entre l'acquisition de langue maternelle et de langue étrangère (le Français) - l'école primaire comme exemple -

د. وفاء دبيش

جامعة 8 ماي 1945 قالمة debbiche.wafa@univ-guelma.dz

د. وردة بويران

جامعة 8 ماي 1945 قالمة bouirane.ouarda@univ- guelma.dz

تاريخ الاستلام:2021/06/22 تاريخ القبول:2021/09/20 تاريخ النشر:2023/03/30

ملخص :

تعيش الجزائر واقعا لغويا مترديا بين الاستعمال العامي و الفصيح والدخيل الغربي (الفرنسي) الذي أثر في اللغة العربية خصوصا و البيئة الاجتماعية عموما. لذا تحاول هذه الورقة البحثَ في مشروعية التنوع اللغوي الحاضر بقوة في المناهج التربوية الموجهة للتعليم الابتدائي التي أقرت بضرورة تدريس الفرنسية ،إلى جانب العربية،وهذا ما خلق نوعا من الاحتقان في الوسط الاجتماعي، الذي رأى في ذلك ضربا من التهميش للغة العربية، ومساسا بهويتها التي أوشكت تذوب وتتلاشى. فإلى أي مدى تؤثر اللغة الفرنسية في تعلم اللغة العربية و اكتسابها لدى متعلمي الطور الثاني؟ خاصة وأن المتعلم في هذه المرحلة في حاجة ماسة إلى اكتشاف أبسط خبايا لغته الأم، وينتهي البحث من ذلك كله إلى رصد آثار واقعيةمشهودة من أثر تعليم الفرنسية في العربية لدى الناشئة.

كلمات مفتاحية: التنوع اللغوي- المناهج التربوية- الهوية- التعليم الابتدائي.

Abstract:

L'Algérie vit aujourd'hui un malaise langagier entre l'utilisation de l'arabe -dialectal et officiel- et la langue étrangère occidentale (le français) qui a influencé la langue arabe et l'environnement social en général .Cette étude tente de mettre en question la légitimité de la diversité langagière dans les curriculums éducatifs primaires qui ont reconnu la nécessité d'enseigner la langue française à coté de l'arabe, cela a été considéré comme une aliénation de l'identité de la langue arabe et a provoqué un mécontentement dans le milieu social .Dans cette perspective, nous posons les questions suivantes :dans quelle mesurela langue française

affecte-elle l'apprentissage et l'acquisition de la langue arabe ?sachantque l'apprenant a cruellement besoin d'explorer sa langue maternelle. Et pour conclure, l'étude surveille des effets concrets de la langue française sur l'arabe chez les jeunes apprenants.

Mots clé : La diversité linguistique, les curriculums éducatifs,l'identité, l'éducation primaire.

1- مقدّمة:

بات واضحا في الوسط اللساني أن اللّغة ظاهرة اجتماعية معرفية إدراكية،إذ تستعمل في جل الممارسات الاجتماعية باعتبارها شطر من المعرفة الإنسانية الخاضعة لمجموعة العمليات العقلية و الإدراكية، وكانت الهجرة منذ القدم سببا في الاختلاط التمازج اللغوي، وما يترتب عن ذلك من مسائل التحيز والانتصار للغة الأصلية، ومنذ ذلك الوقت انعكس التعدد اللغوي في النظم التعليمية من خلال تشجيع التعليم ثنائي اللغة الذي يبدو لأول وهلة أنه تهديد مباشر للأمن اللغوي و السيادة اللغوية، بينما يوصف عند فئة أخرى أنه طريق للتحضر ، و الاندماج في مجتمع عوْلميّ يهيّئ فرصا أكبر لتطوير مهارات القراءة والكتابة باللغتين.

وتعتبر الجزائر من بين الدول التي تشهد تنوعا لغويا ناجما عن تفاعلها مع عديد الدول دبلوماسيا وثقافيا، وسرعان ما انعكس ذلك على الوسط التربوي التعليمي لاسيما الابتدائي الذي خصص حصصا للغة الفرنسية في مرحلة مبكرة منه (السنة الثالثة)، وتستطلع هذه الدراسة التعدد اللغوي من جوانبه التعليمية متخذة من تعليم اللغة الأجنبية (الفرنسية) وسيادتها في المجتمع العربي مثالا، وتقف في هذا المسعى على وجوه تأثير اللغة الأجنبية في لغة المتعلم الجزائري لاسيما حينما يكون التعدد مختلا تهيمن فيه اللغة الأجنبية على اللغة الأم.

2- مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في هيمنة الرأي القائل بأن تأثير اللغة الأجنبية في اللغة الأم دائما تأثير سلبي يصرف النظر عن المتغيرات التي تحكم هذا التأثير عند متعلم المدرسة

الابتدائية لذا تقصد هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤال عريض مفاده: ما تأثير اللغة الأجنبية في اللغة الأم؟

و تتفرع منه أسئلة جوهرية منها:

- ما طبيعة تأثير اللغة الأجنبية في اللغة الأم ، سلبي أم إيجابي؟
- ما التأثيرات السلبية للتعدد الجائر (العربية و الفرنسية) على لغة المتعلم في المرحلة الابتدائية كفاية وأداء؟

3- أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تبين تأثير اللغة الأجنبية في اللغة الأم إن سلبا أم إيجابا.
- تبين أهمية التعدد اللغوي، طبيعته ومدى تأثيره في المتعلم.
- تحليل أثر التعدد اللغوي الجائر على لغة المتعلم الجزائري في مستوياته الصوتية والصوفية و التركيبية والمعجمية و الكتابية و التداولية.

4- أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في كونها تطرق مجالا حديثا في مسار التعليمية، وأنها تقارب الموضوع من زوايا جديدة، تضاف إلى الزاوية الشائعة وهي التأثير السلبي للغة الفرنسية في اللغة العربية لدى متعلم الطور الثاني في المدرسة الجزائرية.

وانطلاقا من الواقع اللغوي الجزائري المتعدد يتضح لنا جليا أن تعليم اللغات في وسط بهذا التعقيد يتطلب دراسة جادة وسياسة حكيمة وتخطيطا متينا ولعل الدعامة الصلبة تبدأ أساسا من تحديد اللغات الواجب تعليمها و لماذا يجب اعتمادها كلغات للتعليم؟

ويبقى الإصرار على اعتماد الفرنسية لغة أجنبية أولى في حين أن موقعها في العالم تزحزح بعيدا عن الانجليزية[1]، ويطرح تفصيلها تساؤلا فحواه: ما جدوى إلحاح البعض على تعليمها بدءا من السنة الثالثة ابتدائي؟

وقبل التطرق إلى معاينة هذه الإشكالية فحري بنا أن نتناول بشيء من الإيجاز مفهوم التعدد اللغوي الذي استوطن في المدرسة الجزائرية، وترك آثارا عميقة في اكتساب اللغة الأصلية.

5- التعدد اللغوي- مفهومه وأنواعه:

5- 1 - مفهومه:

تعد ظاهرة التعدد اللغوي من الظواهر التي تشغل فكر الكثير من الدارسين و تعني أن يتكلم الفرد بأكثر من لغة واحدة، يستعملها في تواصله مع الغير ، وقد تعني قدرة الفرد على استعمال أكثر من لغة واحدة، إذ يقف المتصفح للمعاجم اللسانية على تعريفات عديدة لهذه الظاهرة منها: "تعدد اللغات هو الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معنية تتقن لغتين أو أكثر "[2] وهو ما يعني مهارة الشخص أو الجماعة للغتين أو أكثر مع إظهار براعتها في الاستعمال، وليس هذا فحسب بل تعايش الجماعة مع أفراد يتكلمون لغة غير لغتهم إذْ هو "عملية تلاؤم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلمون لغة أخرى"[3].

يتضح مما سبق أن التعدد اللغوي أصبح ظاهرة واسعة الانتشار،إذ تفرض تعايش لغتين أو أكثر لدى الفرد أو الجماعة ، ويشير مفهوم التعدد اللغوي إلى " وضعيات تواصلية لغوية مختلفة تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعية والسياق أو الحاجيات والغايات و الأهداف، أي إننا نتحدث بأكثر من نظامين لغويين، و على هذا الأساس نجد أن التعدد اللغوي يحتوي على ما يسمى الأحادية اللغوية، الثنائية اللغوية، الازدواجية اللغوية"[4]

إن التعددية اللغوية هي وجود مجموعة من اللغات مستعملة بدرجات متفاوتة، وهو ما نلاحظه في الواقع اللغوي الجزائري الذي نلمس فيه اللغة العربية بشقيها الفصح والعامي، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية و الأمازيغية.

5- 2- أنواعه:

ميز الدارسون بين خمسة أنواع من التعدد اللغوي هي كالآتي:

1- تعددية لغوية "ذات لغة وحيدة غالبة: تتميز بوجود عدد من اللغات المتواجدة في رقعة جغرافية ما، تكون واحدة منها لغة غالبة إلى حد كبير، وليس عنها من بديل كاللغة الفرنسية في فرنسا ، وتواجه هذه اللغات لغة غالبة هي لغة الدولة التي يتكلم بها السواد الأعظم من السكان، و ليس هذا الصنف من أحادية اللغة في شيء، ولكنه ليس قائما في المقابل على مواجهة بين لغتين يمكن أن تأخذ إحداهما وظائف الأخرى"[5]، وهو ما يعكس سيطرة لغة واحدة على باقي اللهجات المتواجدة.

2- تعددية لغوية ذات لغة واحدة أقلية.

3- تعددية لغوية ذات لغات غالبة أقلية .

4- تعددية لغوية ذات لغات بديلة.

5- تعددية لغوية ذات لغات غالبة إقليمية : " تعددية لغوية تتعايش فيها لغات رسمية متعددة في داخل دولة واحدة، ويكون لكل لغة من اللغات رقعة تكون فيها لغة غالبة "[6]، ومثال ذلك الوضع اللغوي في سويسرا حيث جعلت كل من اللغة الفرنسية، و اللغة الألمانية ،و الايطالية لغات رسمية فيها.

6- أسباب التعدد اللغوي:

تُعزى أسباب التعدد اللغوي في الجزائر إلى[7]:

1- الاستعمار: وينجر عنه الاحتكاك بالمغلوب لغويا، حيث يقوم غالبا بفرض لغته بقوة في التعليم والإدارات، ومختلف مؤسسات الدولة،وتبقى المستعمرات على لغة المستعمر حتى بعد استقلالها.

2- الهجرة: " يتشابه تأثير الهجرة مع الاستعمار إلى حد كبير ، فالتعدد اللغوي يحدث نتيجة الاحتكاك المتبادل بين المهاجرين وسكان البلد المستقبل ، خصوصا إذا حافظت مجموعة المهاجرين على عادتها وتقاليدها، ما يمكنها في أغلب هذه الحالات أن تنشر لغتها فيها"[8] .وخير دليل على ذلك المنح الدراسية التي شاعت مؤخرا، علاوة على الهجرة غير الشرعية، حيث ساهمت بشكل واسع في تعدد الألسن.

3- العمل: إذ تستدعي حركات التصنيع في كثير من البلدان " استخدام عمال ذوي جنسيات مختلفة، تفرض لغتها بطريقة غير مباشرة أثناء المعاملة"[9]

4- التجاور: يؤدي تجاور البلدان حتما إلى التعدد اللغوي، لاحتكاك بعضها ببعض إما لأسباب اقتصادية أو التزاوج أو بسبب التواصل.

5-العامل التربوي: " وهو من اخطر العوامل حيث يسهم التعليم في نشر التعدد اللغوي باعتبار أن الكثير من التخصصات تدرس باللغات الأجنبية وهذا ما نلاحظه كثيرا من التخصصات العلمية حيث يعتمد مدرسوها على اللغة الفرنسية، أو الانجليزية أحيانا، ما يجبر المتعلم على تعلم لغات إلى جانب لغته الأم "[10].

7- الواقع اللغوي في الجزائر:

تزخر الجزائر بثراء ثقافي واجتماعي متنوع في كافة المجالات ولعل أهم تمظهرات هذا الثراء ، التعدد اللساني، ومسح بسيط لمناطق الجزائر تجعلنا أمام حالات لسانية ثلاث:

1 - العربية الفصحى :

وهي اللسان الرسمي وأبرز مقومات الهوية الجزائرية ، فهي لسان نخبتها الفكرية، ولسان التعليم الأول في كافة الأطوار ، لسان ارتبط بعقيدته الإسلامية إذ " ظلت الجزائر منذ الفتح الإسلامي محافظة على الثقافة العربية الإسلامية التي انصهرت في بوتقتها وأسهمت في إثرائها بكثير من الإنتاج الفكري و الإبداع الفني والمؤلفات القيمة فازدهرت اللغة العربية في هذه الديار وأضحت لها مراكز إشعاع كبرى في مختلف أرجاء الجزائر"[11] .

ولقد واجه اللسان العربي مصاعب كبرى أبرزها: إنشاء المدارس الفرنسية إذ إن المدرسة الفرنسية البربرية ، فهي إذن مدرسة فرنسية بالمعلمين بربرية بالمتعلمين. وليس هناك أي مجال لأي وسيط أجنبي ، إن أي شكل من أشكال تعليم العربية، إن أي تدخل من جانب الفقيه، إن أي مظهر من المظاهر الإسلامية، لن يجد مكانه في هذه المدارس، بل يستقصي منها جميع ذلك بصرامة[12].

لذا فأن ترسيم اللسان العربي في الجزائر لم يكن يسيرا، بالنظر إلى محاولات القضاء عليه من طرف المستعمر الذي أيقن أن السبيل الوحيد لذوبانه و اندماجه مع خطته هو محو معالم هذه الشخصية خاصة الدين الإسلامي و اللسان العربي.

2-اللسان العامي:

وهو اللسان الذي يجسد بصورة أوضح ظاهرة التأثر و التأثير بين الألسنة المتداولة في الوسط الجزائري رغم تعدد لهجاته، لذا فهو " العامية الجزائرية المتفرعة عن العربية واللهجة الدارجة ظهرت نتيجة تفاعل و تلاقح التيارات الثقافية العربية الإسلامية والبربرية من جهة، والفرنسية من جهة أخرى ، وبالتالي فهي تعكس الطابع الثقافي المتميز لدول المغرب العربي "[13].إنه لسان تجذر في شخصية الإنسان الجزائري فصار يعرف في العالم العربي باللسان الدارج، هذا اللسان يجسد كل التراكمات و السلوكات و المعاملات في الثقافة الشعبية.

3-اللسان الفرنسي:

يمثل الحالة الثانوية الدخيلة، لكنه حاضر بقوة الواقع الذي فرضته ظروف لا يمكن تجاهلها بل يجب استثمارها بطريقة واعية لجعله لسانا تابعا و ليس متبوعا، لسان وسيلة وليس لسان غاية، لسان التفتح وليس لسان الذوبان[14].

يعد اللسان الفرنسي المنازع الأول للغة العربية المهدد لوجودها ، إذ يجسد حالة التناقض التي يعيشها المجتمع الجزائري على مستوى ثقافته وتفكيره، إذ يبقى لسان تعليم في المرحلة الأولى وهي المكانة التي يحسد عليها من قبل لغات أخرى كالانجليزية و الاسبانية، باعتباره اللسان الأجنبي الأول.

إنه لسان الحالمين و الواهمين أن الحديث به كاف لتصدر مكانه اجتماعه راقية في نظرهم لسان الناقمين عن كل ما هو عربي "إذ تشكل الفرنكوفونية في بلدان المغرب العربي جامعا للمنتفعين بلسانهم الفرنسي أيا كانت لغتهم منشئهم...ويوحدهم لدفع مخاطر التعريب "[15].

لسان استثمره قليل من الجزائريين بصورة واعية، ووظفوه بطريقة نفعية، فأضحى عندهم عاملا من عوامل التكامل الحضاري دون الانصهار الكامل في الثقافة التي يجسدها.

8- تعليمة اللغة العربية الفصحى في الجزائر في الطور الثاني من المرحلة الابتدائية :

قبل الكشف عن الواقع الحالي للغة العربية في المدرسة الجزائرية، لابد من الخوض في قضية مهمة تستدعي تساؤلا شرعيا : :هل العربية لغة أم؟

إنها عند عدد كبير من الجزائريين لغة أم، لأنهم مكلفون عقيدة و انتماء باحتضان هذه اللغة التي هي عنوان وجودهم. كما يمكن أن نقر بأنها ليست لغة أم، لأنها لا تجسد عمليا في حياتنا اليومية ، ولا يستعملها في التواصل إلا أفراد معدودون، والأخطر أنه حتى في الميادين التعليمية والأكاديمية تغيب حديثا و كتابة ، بل وتزاحمها العامية فالمتعلم الجزائري " لا يخرج إلى محيطه ليلتقط لغة فصيحة متداولة في الأفواه، بنفس الطريقة التي يخرج بها الفرنسي إلى محيطه ليتعلم الفرنسية، أو الإنجليزي ليكتسب الإنجليزية، إذن فاللغة العربية ليست لغة أولى في محدداتها النفسية أو الإدراكية أو الذاكرية..."[16].

ولعل الغاية الأساسة من تعليم العربية في الطور الثاني من التعليم، هو اكتساب المتعلم كفاية لغوية تؤهله لاستعمال لغته بصورة سليمة تساعده على الفهم و الإدراك والتحليل، وهذه الكفاية اللغوية يفترض أن تكون حصيلة ونتاج تراكمات متصلة ومتكاملة في النظام التعليمي، إذ تشكل المراحل التعليمية حلقات أساسية فيها تبدأ بالمرحلة التحضيرية إلى غاية السنة الخامسة من التعليم الابتدائي التي تكتمل فيها معارفه الأولية الأساسية، التي تمكنه من الاندماج مع مرحلة لاحقة في غاية الأهمية.

ويعد الطور الثاني بداية مرحلة التعليمات الأساسية و الفعلية فهو الحلقة الأساسية المهمة بعد المرحلة التحضيرية و الطور الأول، إذ يفترض أن يكون المتعلم قد تكيف مع الواقع المدرسي لذا ستكون هذه المرحلة هي بداية الانسجام الفعلي مع عملية التعليم، ويولي جميع المتخصصين هذا الطور عناية خاصة بالنظر إلى أنها ستعكس قدرات المتعلم الحقيقة في التعامل مع اللغة المكتوبة و المنطوقة .

إن المتمعن في منهاج السنة الخامسة ابتدائي يلاحظ ارتكازه على:

توسيع مكتسبات المتعلم وتطويرها بتناول مفاهيم جديدة، ومعارف متنوعة مع تدريبه على توظيفها ، والبحث فيها، واستعمالها في مواقف متنوعة قصد التحكم في الكفاءات اللغوية المستهدفة في التواصل الشفهي و الكتابي.

بالإضافة إلى التعرف على بعض المبادئ في القواعد النحوية و الإملائية و الصرفية والتحكم فيها وينبغي أن يكون المتعلم في هذه السنة قادرا على[17]

- القراءة المتسرسلة التي يبرز فيها مهارته بانسجام.
- تلخيص ما يقرأ ، و تحويل ما يفهم في نشاط التعبير إلى معلومات ترتبط بما يعيشه في محيطه وبما يحسه و يشاهده.
- القدرة على توظيف التراكيب المفيدة و الجمل الكاملة لبناء أفكاره والتعبير عن مشاعره ومواقفه من خلال الأفعال التي يعتمدها لإيصال ما يريده.
- التعرف على وظيفة القواعد اللغوية خاصة النحوية في تركيب الجمل وحسن استعمالها. علاوة على تذوق الجانب الجمالي للنصوص، ومحاولة النسج على منوالها.

ونظرا إلى السنة الخامسة هي آخر سنة من التعليم الابتدائي يجدر بالمتعلم أن يكون قادرا على :

- قراءة كل السندات المكتوبة بطلاقة مناسبة لمستواه، وباحترام ضوابط النصوص من حركات وعلامات الوقف وبأداء معبّر.
- فهم ما يقرأ و تكوين حكم شخصي عن المقروء .
- التعبير الشفوي السليم الذي يعكس درجة تحكمه في المكتسبات السابقة.

وبصورة عامة يكون المتعلم في نهاية الطور الثاني المرحلة الابتدائية قادرا على قراءة وفهم وإنتاج خطابات شفوية ونصوص كتابية متنوعة الأنماط :الحواري و الإخباري و السردي والوصفي.

ورغم ما تبذله المنظومة التربوية من جهود جبارة للرقي بهذه اللغة لتكوين وصقل هوية أبنائنا إلا أن الواقع يعكس غير هذا، نظرا لسيطرة العامية و اللغة الفرنسية على

تعاملات المجتمع الجزائري و المحيط الذي يعيش فيه المتعلم، إذ نراه ينفر من العربية لصعوبتها في رأيه وإيثار لغة بسيطة سهلة للتكلم و التعلم ربما.

إن انتقال اللغة و اللهجات الأخرى غير العربية إلى مدارسنا أمر خطير على تكوين شخصية التلاميذ و الأجيال القادمة، فلابد من إعادة الاعتبار لهذه اللغة، لا بعدها لغة القرآن والعلم و الأدب فقط، بل إنها تحمل المروءة وتشبع عقل المتعلم الصغير، وتزيد من تعلقه بعاداته ودينه.

9- تعليمية اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية:

لا تزال اللغة الفرنسية في ظل الإصلاحات التربوية الجديدة تنال الحظوة في منظومة التعليم الجزائرية، وما يثبت ذلك اعتمادها كلغة أجنبية أولى، وفي مرحلة متقدمة وبطريقة إلزامية، إذ يشرع في تعليمها انطلاقا من السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، ويهدف المنهاج إلى ربطها أساسا بتطوير كفاءات التواصل الشفهي و الكتابة، على اعتبار أن التلميذ في هذه المرحلة (الطور الثاني) قد انسجم مع واقعه التعليمي، وتمكن من أساسيات الاكتساب وآلياتها مع اللغة العربية، وبالتالي يسهل عليه التعامل مع نسق لغوي جديد يختلف عن النسق الذي اعتاده، فوضع المنهاج السنة الثالثة ابتدائي لتقديم المبادئ الأولى والتعليم الأولي Initiation . والسنة الرابعة ابتدائي لمرحلة تنمية المعارف وتعزيزها، وهي مرحلة حرجة في هذا الطور Renforcement / DeveloppementT، أما السنة الخامسة ابتدائي فاعتمدت لترسيخ المعارفConsolidation.

9-1- أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية:

أ- **تأثير سلبي:**

مفاده أن متعلم اللغة الأجنبية يتمثل نظام لغته الأم (العربية) تمثلا غير واع عندما يتعلم اللغة الثانية، وانطلاقا من ذلك التمثل فإنه ينقل كثيرا من عناصر لغته الأم ويطبقها على نظام اللغة الهدف أو العكس مثل: ناولني ذلك المحفظة ⟵ على أساس المحفظة اسم مذكر في اللغة الفرنسية.

- المعلم جاء ⟵ على اعتبار أن الجملة الفرنسية اسمية على عكس الجملة العربية فعلية، ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل يتجاوزه إلى أبعاد أعقد وأخطر.

ب- **تأثير إيجابي:**

ثمّة من ينظرون إليه من زاوية لسانية؛ مفادها أنّ التأثير الإيجابي يكون أنجع وأنجح عندما تتقارب اللغات في أصولها.

وتظل هذه المقاربات مقتصرة على سياق تربوي و تعليمي واحد هو تعلم لغة ثانية في سن الرشد، بعد أن يكتمل نظام اللغة الأم، وليس في سياق ثنائي اللغة تهيمن فيه اللغة الثانية.

ج- **تأثير على المستوى اللغوي التربوي**: إن التعدد الذي يخضع له المتعلم في الطور الثاني تنجم عنه صعوبات في تعلم اللغة العربية، إذ يمتلك لهجة محلية، وعند دخوله إلى المدرسة يجد لغة جديدة، لذا، فهو يجابه هذه الوضعية منذ هذا الوقت، ولا يتعلم إلا مبادئ أولية منها حتى تظهر له لغة أخرى، ليس لها أي ارتباط بالأولى والثانية، و لا بمحيطه الاجتماعي ولا الثقافي، وهي الفرنسية .

من هنا نجد إمكانيات المتعلم اللغوية تتوزع على ثلاثة سجلات مختلفة، وعلى هذا الأساس تضعف دافعية المتعلم، وتتوزع جهوده على تعلم أكثر من لغة في هذا المستوى التعليمي.

ولا يزال المتعلم في هذا الطور غير قادر على مجابهة الاختلاف القائم بين المدرسة والبيت، وما تتطلبه المدرسة من تقنيات في ميدان التفاعل اللغوي في الحصة مما يعرقل سيرورة المشاركة في العملية التعلمية، فالاختلافات في الضوابط اللغوية بين العربية والفرنسية هي ما يفسر القصور في السيطرة على تعلم مبادئ وأساسيات اللغة العربية وإتقانها في المدرسة حسب المستوى المنتظر.

وتظلّ هده الصعوبات التي تواجه المتعلم في هذه المرحلة التعليمية مستمرة ، بل وتتراكم عليه أنواع أخرى من المعيقات و الأخطاء اللغوية ، مما يتسبب في دوامها طوال المسار التعليمي له.

2-9-تعليمية الفرنسية ابتداء من السنة الثالثة ابتدائي:

تشكل السنة الثالثة سنة التعليم الأولى لتعليم وتعلم اللغة الفرنسية، ويستهدف التعليم في هذا المستوى البناء اللغوي وأسسه في المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية لغايات تواصلية ، إذ يبني المتعلم طلبة هذه السنة تعلمه الشفوي والكتابي.

ويهدف برنامج السنة الثالثة إلى " تمكين المتعلم من اكتساب مخزون معجمي منظم و منسق ، يجعله يتحكم في الأفعال اللغوية الأساسية، ويكتسب المعارف الأولى للقراءة"[18].وتتمحور عملية التعليم في هذه المرحلة على جوانب الاكتساب الأولى، و المتمثلة خصوصا في:

الجانب الشفوي: حيث يتعلم الفونيمات المدمجة في كلمات ونصوص قصيرة ومن الأمثلة المقدمة في البرنامج مايلي:

Salut-bonjour- bonsoir-au revoir-a bientôt-je m'appelle- je suis –donne moi …

ويمكن أن تستعمل هذه الاستعمالات اللسانية في وضعيات سياقية مختلفة تساهم في إثراء المخزون الثقافي والمعجمي للمتعلم.

الجانب الكتابي: ويعمل المعلم في هذا السياق على استيعاب التلميذ للعلاقات الموجودة بين المنطوق والمكتوب فيستطيع انطلاقا منه أن يجده ماديا، أي يكتب ما يسمعه من أصوات ، أو يقرأ ما يراه مكتوبا….Maman- papa-café- regarder

الجانب اللساني: و الغرض منه اكتساب المتعلم أساسيات مختلف مستويات اللغة، ويتعلق الأمر بالتدرج الفونولوجي، الخط ، المعجم،النحو.ويكتسي تعليم الأصوات في هذه المرحلة أهمية خاصة بالنظر إلى أنه الأساس لتعليم اللغة شفويا، وقد ركز واضع المنهاج على التدرج الصوتي في سياقه التركيبي.

من هنا كانت أهمية تعليم أساسيتها في هذا المستوى بالذات، على عكس العربية التي تبدو عادية في كتابتها،كونها تركز خصوصا على الصوامت، بينما الفرنسية تستند على الصوائت، ضف إلى ذلك أنّ الأصوات نفسها تكتب في الفرنسية برموز مختلفة مثل: (j.g)-(f.ph)-(k.qu)-(ç.c.s)، وقد يصعب لفظ بعض الأصوات على غرار (in.un)-(en.an).

وأما الجانب النحوي فيكتسب عفويا في هذه المرحلة، على اعتبار أن المعلم في سياقات حديثة وتعليمية، يجب أن يكون النموذج الذي يسهر على تصحيح الأخطاء التي لا تحترم الجوانب المعيارية في اللغة الشفوية أولا و الكتابية بعدها.

10- الجانب الوصفي من الدراسة:

10-1- مجتمع الدراسة:بعض الأولياء الذين لهم أطفال يدرسون في هذا الطور في مدرسة ابتدائية "بو النار السعدي " ولاية قالمة، حي الأمير عبد القادر.

إذ استجوبنا عددا من الأمهات المثقفات (طبيبة، مهندسة، أستاذة...) إضافة إلى أمهات ماكثات في البيت ، على اعتبار أنّ هذه الفئة استطاعت أن تلاحظ ميدانيا أثر تعليم الفرنسية في لغة المتعلمين في المستويين اللغوي و المكتوب ولقد حاولت نقل استجابات أفراد العينة كما هي رغم وجود بعض الأخطاء اللغوية ودونت آراءهم رغم وجود بعض المغالطات،و عقبت على بعضها، وفيما يأتي عرض لبعض الأسئلة المطروحة على أفراد العينة:

1- هل يعاني أطفالكم من مشكلات في نطق بعض حروف العربية الناتجة عن تأثرهم بلفظ الأحرف الفرنسية؟

2- هل يعاني بعض الأطفال من مشكلة في تسمية بعض الحروف الهجائية العربية الناتجة عن تداخل تسمية الحروف مع الفرنسية؟

3- ما مدى التأثر السلبي للإقبال على تعلم اللغة العربية عند بعض المتعلمين نتيجة تعلم الفرنسية؟

4- هل تتأخر القدرة على التعبير الشفوي و الطلاقة اللغوية في اللغة العربية عند بعض المتعلمين نتيجة تعلم الفرنسية؟

5- هل ترى أن هناك إهمالا وعدم اكتراث بتعلم اللغة العربية مقارنة بالاهتمام المبذول من طرف الدولة وبعض الأولياء بتعلم اللغة الفرنسية؟

وبعد الاستجواب تبين أن الأولياء يشتكون من مشكلات أطفالهم في تلفظ بعض الأحرف العربية نتيجة تأثرهم بالفرنسية ومن أكثر الحروف الطاء التي تؤول إلى تاء، والظاء التي

تؤول إلى ذال، والضاد التي يصعب لفظها ويذهب الأمر إلى أبعد من ذلك ، إذ أصبح اسم النون N ، والكاف K.. إلخ وأما بالنسبة لأسماء بعض الأشياء فقد أصبح الموز "بنان"، والفرولة "فريز" و الجزر"كاروت".

كما تعاني بعض الأمهات من مشكلة كتابة اللغة العربية من اليسار إلى اليمين بسبب التداخل مع اتجاه الكتابة باللغة الفرنسية، وتذهب أخريات إلى عرض مشكلة ابنتها مع التعبير الشفوي أو التحريري ، حيث لا تجد الكلمات العربية المناسبة للموقف الذي تود التعبير عنه ، مما يعيق قدرتها على التعبير و الكتابة.

ويرى أفراد من العينة أن الدولة أهملت نوعا ما اللغة العربية إذ إن الحجم الساعي المخصص لتعليم القواعد وإثراء المعجم اللغوي للمتعلم غير كاف لتكوين جيل متمرس في لغته ، كما أن بعض الأهالي في البيوت يهتمون بتدريس أبنائهم اللغات الأجنبية أكثر من العربية.

وفيما يلي ملخص لإجابات أفراد العينة على الأسئلة الوصفية:

1- أم رنيم: تدرس ابنتها في الصف الرابع الابتدائي تقول : أصبحت ابنتي تكتب الحروف العربية من اليسار إلى اليمين ، وأصبح خطها في اللغة العربية سيئا جدا مقارنة بما كان عليها في الصفين الأول و الثاني ، كما أنها تعاني من صعوبة في التعبير عن أفكارها باللغة العربية الفصحى.

وتقول لا أنصح بتدريس الفرنسية قبل المرحلة المتوسطة حتى يتسنى للمتعلم إتقان اللغة العربية، ويصبح بعد ذلك قادرا على أن يتعلم لغة أخرى دون أن تؤثر على لغته العربية.

2- أم لؤي: يعاني ابني من مشكلة لفظ حرفي الراء، و الذال، ويجد صعوبة في الكتابة حيث يميل إلى فصل الحروف العربية عن بعضها في الكلمة مثل حروف الفرنسية، إضافة إلى صعوبة القراءة المسترسلة باللغة العربية وبخاصة قراءة القرآن، و تتابع قولها: لقد تأثر ابني تأثرا سلبيا، ولم يتفوق في أي من اللغتين (العربية و الفرنسية) على الرغم أنه في الصف الخامس.

3- أم رشا: أكملت ابنتها الصف الثالث تقول : لديها صعوبة في نطق حرف الحاء فتقول (الهياة) بدل (الحياة)، وتكتب اسمها من اليسار إلى اليمين هكذا (اش ر) وتخلط بين

كلمات العربية و الفرنسية ومع هذا تؤيد الأم فكرة تدريس الفرنسية في هذه المرحلة باعتبارها الأفضل لتعلم اللغات الأجنبية (حسب رأيها).

4- أم ساجد: ابنها في الصف الرابع ويعاني من صعوبة في التعبير باللغة العربية، بالإضافة إلى عدم فهم الأسئلة المصاغة باللغة الأم، مع سوء في الخط العربي، وترى أننا بدأنا نفقد هويتنا العربية والإسلامية من خلال الثقافة المختلطة.

5- أم يوسف ودارين: يدرسان في الصف الثالث ترى أن تدريس اللغات الأجنبية أصبح ضرورة ملحة خاصة في المرحلة الجامعية، لذا فهي تؤيد التعدد اللغوي في المدارس الابتدائية لتضمن التحضير الجيد للمراحل اللاحقة.

6- أم آلاء ووائل: ابنها في الصف الرابع وابنتها في الصف الخامس ، تقول إن أطفالها عانوا من مشكلات كبيرة في البداية خاصة أنها ركزت في تعليمهم التحضيري على اللغة الإنجليزية في مؤسسات خاصة، وهذا ما أثر في لفظهم لبعض الأحرف العربية وأسمائها، وفي الخلط بين الكتابة من اليمين إلى اليسار، والعكس.

لكن مع استمرارية التدريب في البيت و الاستعانة بالمدرس الخصوصي للغة العربية تلاشت هذه المشكلات، وأما بالنسبة لتأثر القدرة على التعبير و الطلاقة اللغوية باللغة العربية فتقول هذه أكبر مشكلة خاصة إذا كانت المدرسة و الأجهزة الالكترونية و التلفاز كلهم يساعدون على تعلم اللغة الأجنبية انطلاقا من أن التعليم التطبيقي لا يتم إلا بإتقان اللغات، وفي رأيها أن التأثير على اللغة العربية جراء تعليم اللغات الأجنبية يعود في معظمه إلى تأثر الوالدين بالثقافة الغربية.

وبعد كل هذه الاستجوابات راودني سؤال مهم ، لماذا يفترض الأهالي أن أبنائهم سوف يواصلون دراساتهم العليا باللغات الأجنبية؟

ألا يوجد احتمال أن تكون العربية هي لغة المستقبل؟ ألا يوجد احتمال أن يصدر قرار جريء يعرب التعليم الجامعي في الوطن العربي؟ ويبقى الاحتمال موجودا وما ذلك على الله بعزيز.

11- خاتمة:

استهدفنا من خلال الدراسة أن تعاين أثر اللّغة الأجنبية في اللغة الأم نظريا وتطبيقا، ولعل أهم النتائج التي انتهت إليها ما يلي:

- الواقع اللساني في الجزائر واقع معقد وحساس ؛لأنه يجسد مجموعة من التناقضات التي لا يجب الالتفاف حولها، بقدر ما يجب فهمها واستيعابها، والتعامل معها تعاملا جديا يضمن معالجة كافة الاختلالات الحاضرة في الواقع التعليمي.

- لا خلاف في أن التعدد الجائر الذي تهيمن فيه لغة أجنبية على اللغة الأم يؤثر تأثيرات سلبية لغوية، خاصة فيما يتعلق باكتساب العربية وبناء كفاياتها بناء سليما .

- إن التعدد الجائر على اللغة العربية يؤدي إلى عثرات واضحة في أداءً المتعلم، تظهر في جميع مستويات اللغة، أصواتها وصرفها ونحوها ونظامها التركيبي، ورسمها وتداوليتها، وبالتالي ينتج تراكيب لغوية هجينة قد يراها البعض ضعفا لغويا، ويراه البعض الآخر إيجابية في هذه التراكيب الجديدة، حيث تكتسب العربية المعاصرة مرونة في التعبير، وملائمة لما يقابلها في اللغات الأجنبية.

- بإمكان اللغة العربية كسب الرهانات الملقاة على عاتقها شريطة أن لا تخذل من طرف أبنائها الذين يكفلون لها التموقع على جميع الأصعدة كحاملة للمعارف بشتى أنواعها.

إن التفتح على لغات العالم أمر لا مفر منه، لكن يجب أن يكون ذلك بطرق واعية نتوخى من ورائها النفعية وعدم الذوبان في ثقافة الآخر.

ولكي نتجنب خطر هذا الانشطار اللغوي لابد أن نتخذ جملة من الإجراءات العلمية أهمها:

- استبعاد تعليم أي لغة ثانية في الأطوار التعليمية الأولى بغية الوصول إلى تنشئة لغوية صحيحة تعتز بمرجعية أبنائنا الدينية و الثقافية.

- تأجيل تدريس اللغات الأجنبية إلى ما بعد المرحلة الابتدائية.

- محاولة تعليم اللغة الفصيحة المنطوقة أولا بعيدا عن القواعد في المراحل المبكرة، لكي لا ينفر المتعلم من علم لا يعرف له واقعا ملموسا في التطبيق.

12- توصية:

تتمحور توصية الدراسة في أن يقوم مشروع بحثي متين لدراسة أثر اللغة الأجنبية في لغة المتعلم، ومن ثم في فكره وميولاته، وقد يكون هذا المشروع المرجو نقطة تحول لاتخاذ قرارات مصيرية تتعلق بطبيعة التعدد اللغوي المنشود،لنخرج من تبعية الواقع الحالي الذي يجسد ثنائية جائرة لا تستبعد أن ترقى إلى مرتبة الأحادية اللغوية، ولكن باللغة الأجنبية.

13- قائمة الإحالات:

[1]- ميمون مجاهد، تعليمية اللغة بين الأحادية و التعدد، شهادة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب و اللغات والفنون، 2008 – 2009 ص 165.

[2]- ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية: دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص35.

[3]- المرجع نفسه، ص36.

[4]- عبد الحميد بوترعة: واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، الخبر- الشروق- الجديد أنموذجا، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، ع 8، 2014، ص201.

[5]- لويس جون كالفي: حرب اللغات و السياسة اللغوية/ تر: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2008، ص397.

[6]- المرجع نفسه، ص400.

[7]-- ميمون مجاهد، تعليمية اللغة بين الأحادية و التعدد، شهادة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب و اللغات والفنون، 2008 – 2009 ص

[8]- ميجل سيجوان ووليام مكافي: في مقدمة التعلم وثنائية اللغة، تر: ابراهيم بن محمد العقيد محمد عاطف مجاهد ، جامعة الملك سعود، الرياض، العربية السعودية 1994، ص 26.

[9]- باديس لهويمل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، ع30، 2014 ، ص 112.

[10]- المرجع نفسه، ص113.

[11]- عبد السلام ضرغام: التعريب و الشخصية الوطنية، في مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر، العدد الأول، مارس 1999 ص 110.

[12]- المصطفى بن عبد بوشوك: تعليم و تعلم اللغة العربية و ثقافتها، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط 3، 2000 ، ص 20.

[13]- ميمون مجاهدك تعليمة اللغة بين الأحادية و التعدد، م،س، ص 157.

[14]- محمد الأوراغي: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ط1، 2002، ص 130.

[15]- عبد القادر الفاسي الفهري: المعجم النحوي- نماذج تحليلية جديدة- دار توبقال 1986، ص 21.

[16]- ميمون مجاهد: تعليمية اللغة بين الأحادية و التعدد، م، س، ص 200-201 .

[17]- ينظر: باديس لهويمل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، مجلة الممارسات اللغوية، ص113، 114.

[18]- ميمون مجاهد: تعليمية اللغة بين الأحادية و التعدد: م، س، ص 200-201 .